الاستاذ بشير متي الطوري:

"إنها المرة الاولى في تاريخ العراق الحديث والشرق الأوسط .. شهادة اكاديمية رسمية بمادة اللغة السريانية وآدابها"

حاوره ـ نبيل ياقو خنانو

اللغة سراج الشعوب وطريقها نحو زرع ثقافتها في ضمير ابنائها، ووسيلة فعالة لخلق مجتمع يتميز عن باقي الثقافات الاخرى وبها يسهل نقل عاداتها وتقاليدها وآدابها وصلواتها وعقائدها. انها افضل وسيلة لخلق امة حية، لان اللغة تدل على حياة امة، وتستنطق تاريخا عبر الشعر والادب وهي التي ترتبط ارتباطا قويا بافراد وشخصيات الامة الذين يحملونها ويطورونها لتواكب التطور المكاني والزماني عبر العصور..

استلهمت هذه الكلمات لبداية لقائي مع الاستاذ بشير متي الطوري الذي اسعدني جدا ان اتحدث اليه، واستذكرمعه ماضيه ومواقفه مع اللغة السريانية التي يعشقها الى حد كبير ،وكان ومن معه في القسم السرياني الجندي المجهول الذي يقدم كل شيء من اجل ان تستمر مسيرة التعليم في القسم بالرغم من كل الصعوبات والمعوقات التي رافقت انشاءه وبدايات تاسيسه.. فدار هذا الحديث الشيق معه.. واستطعت من خلال اسئلتي الهادئة معه ان اكتشف كل ما يهمنا تقديمه لقراء صحيفتنا الحبيبة بهرا .. فبدأت معه هذا اللقاء بسؤالي الاول..

– مالذي دفعك لمحبة اللغة السريانية وتعلمها وتدريسها؟.

• هذا السؤال يذكرني بموقف حدث لي علم ١٩٧٠ كنت حينها ذاهبا الى الكنيسة وعند دخولي للصلاة لم اجد سوى الكاهن وحده فابتسم لي مرحبا ثم قال بعد برهة: جيد لقد حضرت في الوقت المناسب لتشاركني في القداس فاجبته: لا اعرف ان اصلي بالسريانية واعرف كلمة واحدة فقط وهي آمين؟ لاني لا اعرف من اللغة شيئا ولا اعرف قراءة الكتب الطقسية.. تأثرت حينها كثيرا وبعد انتهاء القداس ورجوعي الى البيت، اخبرت الاهل عن هذا الموقف المحرج الذي تعرضت له في الكنيسة، فكان رد فعل والدي المرحوم ان أشار الي ان اتعلم اللغة السريانية فقررت بعدها ان اتعلمها.

فصادف في تلك الفترة انه كانت هنالك دورة لتعلم اللغة في الكنيسة -كنيسة مار يوحنا المعمدان في الدورة- واتذكر ان المعلم كان المرحوم الشماس حنا مرقس المركهي فشجعني على الالتحاق والتسجيل بها لكن المفاجأة كانت بعد ستة دروس حيث قال لي وبالحرف الواحد: "لا استطيع ان ادرسك مع التلاميذ" فأهداني كتاب قواعد اللغة السريانية لاوجين منا وارشدني ان اقرأه جيدا وان احتجت الى شيء ما فاعود اليه واسأله. دفعني ذلك الى ان اقرأ يوميا عشر ساعات بكل جد والتباه وبعد شهر قدمت له نموذجا مكتوبا لما تعلمته ففرح بي كثيرا وقال لي اذهب فقد تعلمت الكتابة. حصل هذا عندما كنت ابلغ الثانية والعشرين من عمري، وكنت حينها طالبا جامعيا .

– وكيف طورت نفسك في مجال اللغة السريانية.. هل اعتمدت على ذاتك فقط ام استعنت باخرين؟.

• نعم لقد فعلت ذلك وبطريق الصدفة عندما كنت طالبا في الجامعة الاميركية في بيروت "١٩٧٢-١٩٧٣" حيث اقمت في الكلية الاكليريكية الافرامية فازداد احتكاكي مع الطلبة والاساتذة وخاصة الاستاذ المرحوم عبد المسيح قرباشي والذي حثني كثيرا على اتقان قواعد اللغة السريانية قراءة وكتابة، وعند عودتي الى العراق واصلت تطوير نفسي في هذا المجال، حتى جاءت الفرصة سانحة بأختياري للالتحاق بهيئة اللغة السريانية التابعة للمجمع العلمي العراقي عام ١٩٩١، واصبحت عضوا بشكل رسمي عام ١٩٩٦ حيث عملت في الهيئة في مجال تأليف معجم الاصول اللغوية وكان معي عشرة اشخاص اخرين لاصدار الجزء الثاني من الموسوعة والذي كان قد صدر الجزء الاول قبل سنوات. يتكون المعجم من مفردات بالسريانية ،العربية،الارامية، الاكدية، الاثيوبية، والمندائية حيث كنا نعيد الكلمة السريانية الى جذرها الاصلي، الا ان هذا الجزء لم ير النور ولم يطبع بسبب احداث عام ٢٠٠٣. وشاركت ايضا في العمل مع زملائي على معجم الادب السرياني وهو شبه موسوعة في جزأيه الثاني والثالث وهذان الجزءان لم يطبعا لحد اليوم واتمنى من المجمع العلمي القادم ان ينشرهما كونهما يختصان في اصول الادب السرياني لما فيهما من فائدة للغة السريانية.

– هل لديك مؤلفات اخرى في هذا المجال؟.

• لقد عملت مع الاستاذ الدكتور يوسف قوزي على وضع اللمسات لكتاب يحتوي على الف مصطلح سرياني حديث في مجال التربية والتعليم وهو باللغات السريانية – العربية – الانكليزية لاغناء المفردة السريانية واعطاء الرديف المناسب لها في العربية والانكليزية وما زلنا متواصلين في العمل لاتمام هذا المعجم المهم علما ان المفردات المستخدمة في المعجم مقرة من دائرة المصطلحات في المجمع العلمي العراقي.

– في سياق ذكرك لهيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي.. هل هناك نية لاعادة احيائها وتشكيلها من جديد؟

• منذ ثمانية اشهر قدمنا طلبا بهذا الخصوص الى السيد رئيس الوزراء من خلال رئاسة المجمع العلمي العراقي والذي بدوره رفع الطلب الا ان اي قرار لم يصدر بهذا الشان على الرغم من انه تم اختيار الاسماء وتدوينها في الطلب ونحن في انتظار الموافقة بفارغ الصبر.

– انت احد اساتذة قسم اللغة السريانية في كلية اللغات / جامعة بغداد..هل لك ان تحدثنا عن بدايات تاسيس القسم وخصوصا انكم كنتم

السريانية وعن طريق هيئة اللغة السريانية التي قدمت الاخيرة دراسة شاملة لفتح قسم في كلية الاداب او كلية اللغات في جامعة بغداد. واتذكر حينها ان منهاجا متكاملا وضع وللسنوات الدراسية الاربعة الا ان ذلك ذهب ادراج الرياح بسبب عدم قبول وزارة التعليم العالي والبحث العلم بذلك.

وبعد التغييرات التي حصلت في العراق عام ٢٠٠٣ وما بعدها، اعدنا الكرة مرة اخرى ومن خلال الجهود المبذولة للاستاذ يونادم كنا تم فتح القسم بأمر من مجلس الحكم وكان ذلك في عام ٢٠٠٤ ليكون تابعا لكلية اللغات في جامعة بغداد، وبالرغم من كل الصعوبات التي واجهتنا في بدايات تشكيل القسم الا ان اصرارنا على اكمال المشوار أثمر عن قبول ١٢ طالبا وطالبة وبدأنا بالفعل الدوام الرسمي في شهر تشرين الثاني عام ٢٠٠٤ وترأس القسم حينها الاستاذ الدكتور يوسف قوزي ويعاونه المهندس روبن بث شموئيل كمقرر للقسم وانا معهم 'بصفة مدرس' اضافة الى اساتذة اخرين ومعهم الاستاذة جنان عازر بولا ، وها نحن اليوم نقطف ثمار ما زرعناه.

–ما نوع الصعوبات التي واجهتكم؟.

واجهتنا الكثير من الصعوبات من ابرزها عدم وجود كتب منهجية مما اضطرنا الى وضع مناهج متكاملة قدر الامكان تتناسب وتطور اللغة السريانية المعاصرة اضافة لكل هذا لم يكن هناك تفهما صحيحا وواضحا لطبيعة التدريس واحتياجات القسم المادية وايضا توفير المكان الملائم للتدريس. فاضطررنا الى تجاوز كل ذلك من خلال معالجة الكتب المنهجية بخبرتنا في هذا المجال فلجأنا مثلا الى اسلوب السؤال والجواب لتأليف كتاب "المحادثة"، وساعدنا في حينها مشكورا مكتب الاعلام المركزي في الحركة الديمقراطية الاشورية لطبع الكتاب على نفقته الخاصة بسبب عدم توفير الميزانية المطلوبة لطبع الكتب المنهجية. والجدير ذكره شحة المصادر والقصد هنا شحة مصادر الكتب المنهجية والمصادر اللغوية كالمعاجم والموسوعات وكتب قواعد اللغة قد ساهم في زيادة معاناة الطالب في بدايات الدراسة للسنتين الاوليتين وكانت هنالك صعوبة اخرى تتمثل في ان اجور المحاضرين والاساتذة كانت 'اجورا بائسة' واسمية فقط، كل هذا كان بمثابة عائق كبير امام تطوير القسم حينها الا ان المساهمة الفعالة للحركة في تذليل الصعوبات التي واجهتنا ماديا ومعنويا شجعنا للاستمرار في مسيرة تطوير القسم.

– لماذا كلية اللغات وليس كلية الاداب؟.

• الهدف من ذلك التأكيد على ان

تكريس اللغة والادب في ان واحد وكون ان الدكتور يوسف قوزي رئيس القسم حينها كان استاذا في كلية اللغات/جامعة بغداد.

– هل توضح لنا نظام الدراسة في قسم اللغة السريانية .. وماهي المواد التي تدرس للسنوات الدراسية الاربعة؟.

•ان نظام الدراسة في القسم هو فصلي "نظام الكورسات" والمواد تتوزع على المراحل كالاتي:

المرحلة الاولى/ مباديء قواعد اللغة السريانية، القراءة، التلفظ، المحادثة، الاملاء، الانصات، اللغة العربية، اللغة الانكليزية، ومادة حقوق الانسان.

المرحلة الثانية/ قواعد اللغة السريانية، القراءة، الترجمة، المحادثة، اللغة العربية، اللغة الانكليزية، واللغة الاكدية.

المرحلة الثالثة/ قواعد اللغة السريانية، المحادثة، الترجمة، تاريخ الادب، ارامي 'العهد القديم'، اللغة المندائية، اللغة العبرية، ومادة تحليل النصوص.

المرحلة الرابعة/ فقه اللغة المقارن، تاريخ الادب، اللغة المندائية، النصوص الادبية، اللغة العبرية، ومادة الترجمة.

اضافة الى كل ذلك بحث التخرج الذي يقدمه الطالب المتخرج يختزل فيه ثمرة دراسته لاربعة سنوات دراسية.

– برأيكم ماهي السبل الكفيلة لخلق اساتذة اكفاء للمستقبل؟.

• حقيقة اقول لك ان من الشروط المهمة لتطوير القسم وقابليات الطلبة الدارسين فيه هو ان يكون قبولهم مركزيا من قبل وزارة التربية، وضمن ضوابط خاصة للقسم لانجاح عملية تعليم اللغة السريانية بشكل عام وتطوير مستوى الطلبة والاساتذة بشكل خاص. فقبول الطلبة لحد الان لم يدخل ضمن نطاق القبول المركزي لهذا يجهل الكثير من ابناء شعبنا وجود هذا القسم اصلا في حين لو كان مدونا في دليل التقديم للطالب لتشجع عدد كبير منهم باختياره. فانا مع القبول المركزي على شرط ان يتم اجراء مقابلة خاصة للمقبولين لمعرفة امكانياتهم في اللغة السريانية وعلى اقل تقدير ان يعرفوا التهجي او القراءة.

– بمناسبة تخرج الدفعة الاولى من القسم هذا العام .لماذا اختير "نعوم فائق" ليكون اسما لهذا الدورة؟.

• ان اختيار اسم نعوم فائق جاء كونه اسما لامعا في مجال اللغة السريانية، هو حامل لواء النهضة السريانية الحديثة في منسلخ القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين فما ميز هذا الرجل انه كان يدعو الجميع ودون تمييز بين كنيسة واخرى الى النهوض باللغة والدعوة لتعلمها كونها لغة امة حية، ونبذ الجهل والفرقة والدعوة الى التوحد بين ابناء الشعب الواحد. لذا جاء اختيارنا لاسم هذا الرجل العظيم ليكون اسما لاول دورة تتخرج في تاريخ العراق الحديث تحمل اختصاصا اكاديميا باللغة السريانية.

– كم بلغ عدد خريجي هذه الدورة – الاولى– "نعوم فائق"؟.

• بلغ عدد الطلبة الخريجين تسعة طلاب... ثلاثة طلاب وست طالبات. اضافة الى ان مجمل اعداد طلاب المراحل الثلاث يبلغ ٢٥ طالبا وانشاء الله في العام القادم نأمل ان يزداد عدد المتقدمين والمقبولين للمرحلة الاولى.

– ماهي المجالات المتاحة امام الطلبة الذين يحملون شهادة اكاديمية في اختصاص اللغة السريانية.. فكثيرون يضنون ان لا مستقبل للخريجين.. ما الرسالة التي تحب ان توجهها؟.

• اود ان اوضح بل واؤكد ان الخريج يحمل شهادة اكاديمية اسوة باقرانه في كلية اللغات، انها شهادة بكلورويوس اختصاص لغة سريانية، يستطيع بها ان يتقدم للتعيين في دائرة حكومية.. انها شهادة رسمية تعطى من قبل جامعة رسمية فانا استغرب من هذا الكلام.. بل اني اؤكد ان مستقبل الطلبة الخريجين من القسم مضمون جدا، حيث ان وزارة التربية تحتاج لاختصاصهم للتعيين بصفة مدرس في المدارس الاعدادية، سواء في بغداد او في اقليم كوردستان العراق، ومثال على هذا الكلام فان مديرية القومية الكوردية والقوميات الاخرى وزعت استمارات طلبات التعيين لغرض تنسيبهم للتعيين في المدارس المشمولة بالتعليم السرياني كونهم درسوا اللغة دراسة اكاديمية ومتخصصون باللغة السريانية.

كما احب ان اوضح ايضا ان القنوات التلفزيونية والاذاعات والصحف التي تتبنى اللغة السريانية في برامجها اليومية، او في مقالاتها او في اعداد برامج خاصة تحتاج اختصاصهم للاستفادة منهم في الترجمة من اللغة السريانية الى العربية وبالعكس، وان الخريج يحصل على شهادة دبلوم في اللغة الآنكليزية اسوة بالاقسام الموجودة في كلية اللغات الى جانب شهادته الاكاديمية. انها شهادة رسمية فلماذا يتخوف طلابنا الاحبة من المستقبل اذا ما تقدموا الى قسم اللغة السريانية.. واكرر ان المستقبل مضمون مائة في المائة.

– شعورك وانت تقطف مع زملائك في القسم ثمار اربع سنوات من المثابرة والمتابعة الجدية للطلبة؟.

• انه شعور رائع بالتاكيد ولا يوصف بكلمات.. انها المرة الاولى في تاريخ العراق الحديث والشرق الاوسط تمنح شهادة اكاديمية رسمية بمادة اللغة السريانية وادابها.. فخر لنا جميعا ان لغتنا السريانية تحولت الى لغة اكاديمية تدرس في الجامعة، وتمنح للخريجين شهادة باختصاص نادر كهذا ليكونوا لبنة حية للاجيال القادمة.. وقد وردتني الكثير من برقيات التهنئة من جهات عديدة تهتم بالشان اللغوي السرياني.. فقد وردتني تهنئة من المعهد الشرقي التابع لجامعة اوكسفورد لمناسبة تخريج دورة "نعوم فائق"، وكذلك برقية من الرابطة السريانية التي مقرها لبنان وبالاخص من قبل الاستاذ حبيب افرام والاستاذ شفيق ابي زيد، وكذلك من اصدقاء اللغة السريانية في لبنان ايضا واخص الذكر الاستاذ روبير كبريال، اضافة الى العديد من الشخصيات المهتمة باللغة السريانية وعبرت عن فرحتها الكبيرة بهذا الحدث التاريخي الكبير.

– آفاق تطوير القسم اكاديميا وعلميا وعمليا في المستقبل؟.

• حقيقة لتعزيز دور القسم في تطوير اللغة السريانية وآدابها نحن نسعى الى ارسال الطلبة الخريجين الأوائل بزمالات دراسية الى خارج العراق للتخصص ونيل شهادتي الماجستير والدكتوراه في الجامعات الأوروبية والعالمية الرصينة والتي تدرس مادة اللغة السريانية ليكونوا عماد القسم في السنوات القادمة.. فهنالك الكثير من الجامعات التي تحتضن اللغة السريانية كونها لغة شرقية تستحق الدراسة لثراء آدابها، وليس فقط ذلك بل لنيل الشهادات في فروع اللغة المختلفة كجامعة اوكسفورد، او جامعة هايدل بيرك الالمانية، وكذلك في هولندا والسويد وكندا هنالك جامعات يمكن ان نرسل الخريجين الاوائل اليها للتخصص اكثر في اللغة.. ولنا امل كبير ان نرسل الاساتذة الحاليين ايضا لنيل شهادات عليا في المستقبل القريب.

فنحن نريد ان يكون القسم قبلة للمستشرقين ليتعلموا اصول وقواعد اللغة السريانية من منابعها الاصيلة في العراق، ولكل من يحب ويرغب في دراسة لغتنا الحبيبة وآدابها وقواعدها.

– كلمة اخيرة تحب ان توجهها لقراء جريدة بهرا.. ولكل المحبين للغتنا الام السريانية؟.

• قيل لي يوم تعلمت اللغة السريانية.. ما لك وهذه اللغة الميتة !!؟.. أذهب وتعلم لغة تجني منها خيراً.. أجبتهم وهل اللغة التي شرفها السيد المسيح له المجد وتحدثت بها امنا العذراء مريم ورسله الاطهار لغة لا خير فيها!!؟.. انا اذا ساتعلمها افضل منكم.. بالامس قلت ذلك.. وها نحن اليوم نقطف ثمار الشتلة الصغيرة التي زرعناها قبل اربع سنوات، وسقيناها بدموعنا وعرقنا وجهدنا ومثابرتنا.. اينعت وصارت نخلة شامخة مثبتت فسائل كثيرة في المستقبل القريب انشاء الله.

وفي ختام كلامي اهنيء من صميم قلبي ابنائي الطلبة الخريجين وذويهم وآمل ان يستمروا في رفع الراية بعدنا.. وكل ما قمنا به سيحفره التاريخ باحرف من تبر ونور..

واشكر جريدة بهرا على هذا اللقاء..

ضيفنا في سطور

الاسم: الصيدلاني بشير متي توما الطوري

محل الولادة: بحزاني – نينوى

تاريخ الولادة: ٧-٤-١٩٤٩

اللغات التي يجيدها: العربية، السريانية، الانكليزية، الملم بالكردية والعبرية

التحصيل الدراسي: دبلوم تكنلوجيا المختبرات الطبية – المعهد الفني الطبي العالي/ جامعة بغداد ١٩٦٩ بدرجة جيد جدا "الاول على الدورة" – سنة تدريب في التحاليل المرضية الجامعة الامريكية/بيروت ١٩٧٢-١٩٧٣- شهادة الاختصاص في تحاليل الدم"مصرف الدم" المتقدم من جامعة فيرجينيا الامريكية بالتعاون مع جامعة بغداد ١٩٧٧ م-بكالوريوس علوم صيدلانية كلية الصيدلة/ جامعة بغداد ١٩٩١/ بدرجة متوسط وتسلسل ٢٧ على الدورة.

اماكن العمل:

- مصرف الدم/ وزارة الصحة ١٩٦٩-١٩٧٢ بغداد.
- مستشفى الرشيد العسكري/ وزارة الدفاع ١٩٧٤-١٩٧٥ بغداد.
- مصرف الدم/ وزارة الصحة ١٩٧٥-١٩٧٨ بغداد.
- كلية طب المستنصرية ١٩٧٨-١٩٩٤ بغداد.
- خبير هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي ١٩٩١-١٩٩٤.
- عضو دائرة اللغة السريانية ٢٠٠٣-وحتى الان.

الخبرة في مجال اللغة السريانية:

- عضو اتحاد الادباء والكتاب السريان– بغداد.
- عضو اتحاد الادباء والكتاب العراقيين – بغداد.
- عضو اتحاد الادباء والكتاب العرب – الاردن ١٩٩٦.
- عضو نقابة الصيادلة ١٩٩١.
- استاذ محاضر في كلية اللغات – جامعة بغداد قسم اللغة السريانية منذ تأسيسه ٢٠٠٤ ولحد الان.

المؤتمرات والندوات:

- مؤتمر التراث السرياني – حلب ٢٠٠٦م.
- جميع ندوات هيئة اللغة السريانية – المجمع العلمي العراقي ببغداد.
- جميع مؤتمرات الادب السرياني في بغداد واربيل.
- مؤتمر اللغة السريانية الثاني في اربيل ٢٠٠٦ والثالث في دهوك ٢٠٠٧ .
- مؤتمر الشعر السرياني في القامشلي لثلاث سنوات ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦.

الكتب المنشورة:

- ديوان شعر سرياني بعنوان "امواج السحر" بغداد ٢٠٠٣ .
- عقد الجمان في ادب السريان – بغداد ٢٠٠٥ "مجموعة بحوث".
- المحادثة السريانية بالاشتراك مع الاستاذ د.يوسف قوزي ج١/بغداد ٢٠٠٥– منشورات كلية اللغات جامعة بغداد.
- المحادثة السريانية بالاشتراك مع الاستاذ د. يوسف قوزي ج٢/بغداد ٢٠٠٦– منشورات كلية اللغات جامعة بغداد.
- المحادثة السريانية بالاشتراك مع الاستاذ د. يوسف قوزي ج٣/بغداد ٢٠٠٦– منشورات كلية اللغات جامعة بغداد.
- عبق الخزامى والريحان في ادب السريان – بغداد ٢٠٠٨ تحت الطبع

تنويه واعتذار

لاسباب فنية وضعت صورة الاخ الاستاذ اشرف العطار بدلا عن صورة الاخ الاستاذ القاص والمصور بهجت درسون في موضوع:
تراثنا مادة خصبة نستمد منها الاف الحكايات والموروثات.العدد "٤٤١"في ٢٩ حزيران ٢٠٠٨